الفصل الثالث عشر

(زيارة مفاجئة)

"الدكتور "عمر" يقوم بزيارة مفاجئة لـ "حنين" في بيتها، بعد أن علم من والدتها أنها مجهدة؛ لأنها لم تنل قسطًا من الراحة، فالتفكير كاد أن يدمر رأسها طوال الليل، كثرة التفكير في موضوعها المستجد " .

"شكرات" تدخل على "حنين" حجرة النوم الخاصة بها؛ لكي توقظها لتناول الإفطار، فهي قد تأخرت في النوم، فمنذ أن جاءت من المشفى عقب زيارة "ماضي"، وهي تقضي معظم الوقت نائمة، ربما يكون هروبًا من التفكير، فتجلس بجوارها على السرير...

_ يا حبيبتي قومي بقا علشان تفطري، يلا قومي يا حنون.

* معلهش يا ماما، سيبيني أقوم براحتي.

_ مالك يا حبيبتي؟ انتِ تعبانة ولا ايه؟ قومي يلا علشان أنا عايزة أتكلم معاكِ شوية يا قلبي.

* حاضر يا ماما.

في نفس التوقيت يصدر هاتف "حنين" رنينًا...

* ردي يا ماما على التليفون، وأي حد يسأل عليّا قولي له إني نايمة.

_ دا مكتوب الدكتور عمر.

* معلهش يا ماما، ردي انتِ عليه وقولي له إني لسّه نايمة؛

علشان كنت تعبانة شوية.

فتلبي "شكرات" طلبها...

_ أيوه يا دكتور عمر، أنا مامت حنين، معلهش يا دكتور، حنين لسّه نايمة؛ علشان ما نامتش طول الليل.

- مالها الدكتورة حنين؟! سلامتها ألف سلامة.

_ هي كانت تعبانة بالليل شوية، أصحّيها تكلم حضرتك؟

- لأ، خلّيها مرتاحة يا ماما، أنا هانتصل بيها تاني إن شاء الله؛ علشان نتطمّن عليها.

– حاضر يا دكتور.

كانت تودّ أن تخبره بأنها تريد التحدث معه على انفراد،ولكنها ترددت.

"حنين" في غرفتها تسمع المكالمة، وانتهت المكالمة على هذا الحال، وعلى أمل أن الدكتور "عمر" سيتصل مرة أخرى بعد ساعة على الأقل، فتقول لـ "حنين":

_ كنت عايزة يا حبيبتي أتكلم مع الدكتور عمر لوحدينا، إيه

رأيك يا حنون؟

* استني شوية يا ماما، يومين كدا ونقول لك، وبعدين يا ماما قولي لي كدا وأنا بنحضّر الفطار، حضرتك يا ماما كنتِ عايزة تتكلمي معايا، أنا كلي آذان صاغية.

_ ربنا ما يحرمنيش منك يا أحن حنون في الدنيا كلها، دقيقة هادخل أوضتي وأجي لك.

تجلب "شكرات" الأوراق الخاصة، والتي تحفظها في مكان سري للغاية...

_ اقري يا حبيبتي الأوراق دي، وركزي قوي يا قلبي في التواريخ.

"حنين" تمسك بالأوراق وتقرأها، وفجأة ترتعش يدها، كأنها في أوج الزمهرير، وتقلّب بينها...

* ايه الأوراق دي يا ماما؟!

_ دي يا حبيبتي صور وأوصول من أهم أوراق عندي، دي يا قلبي شهادة ميلادك الأصلية

اللـي طلعت مـن الوحـدة الصـحية هنـا فـي اسـكندرية، وفيهـا تـاريخ مـيلادك واضـح، ودي قسـيمة الجـواز بتـاعتي أنـا والمرحـوم حـاتم، بصـي كـدا، اقـري، بعـد تـاريخ مـيلادك يـا حبيبتي بسنتين وحوالي عشرين يوم.

* دا معناه إيه يا ماما؟!

_ دا يـا حبيبتـي معنـاه إن المرحـوم حـاتم كـان عـارف، وكـل شيء كان بعلمه من ساعة ما شافني هنا في اسكندرية من خمسة وعشرين سنه تقريبًا.

* مش فاهمة يا ماما برضه، يعني إيه من ساعة ما شافك هنا في اسكندرية؟

_ أنا هاحكي لك ياحبيبتي الحكايـة كلهـا، من ساعة مـا بدأت من زمان، احنا أصلنا صعايدة، أبويا نزل من الصعيد للقاهرة؛ علشـان كانـت لـه ظـروف فـي بلـده، انـتِ عارفـة وزي مـا بتسمعي عن حكايات التار دي اللي في الصعيد..

وحكت لـ "حنين" كل شيء، منذ أن أتت إلى عروس البحر المتوسط، إلى أن رأت "حاتم"، وتقص عليها كيف كان كريمًا طيبًا مخلصًا لها، ولم يقصر معها في أي شيء.

"عماد" -زوج "مديحة"- يذهب إلى الملهى الليلي؛ لكي يتقرّب من "عصام"، فهو عن طريقه سيعرف كل شيء عن حياة "ماضي"، من الماضي حتى اليوم، وقد علم أنه ما زال يتابع أخبار "أمل"، رغم أنها تزوجت منذ زمن بعيد، ولكن ما زال حبها مسيطرًا عليه، وحاول مرارًا وتكرارًا أن يتخلص من هذا الحب، ولكنه كان يبوء بالفشل، وهذا ما جعله أكثر ضياعًا، وعن طريق الملهى والشراب نجح "عماد" في أن يتقرّب من "عصام"، ويعرف من خلاله أن "ماضي" كانت له علاقة قديمة بفتاة اسمها "شكرات"، لكن هذه الفتاة اختفت حينما انكشفت العلاقة التي بينهما، وأن عائلتها من الصعيد...

ويحكي له "عصام" القصة القديمة التي حدثت بين "ماضي" و "شكرات" أيام الشباب.

_ ممكن يكون أهل البنت دي اتخلصوا منها، وماحدش يعرف عنها حاجة لغاية دلوقتي، وماضي كمان عمل حادثة بعربيته من كام يوم ودخل المستشفى وفي حالة خطيرة، حتى أبوها وأخوها بعد ما دخلوا السجن آخر مرة بسبب اتهامهم في جريمة قتل وحرق مصنع الراوي رجل الأعمال المعروف.

* بتقـول مـين؟! الـراوي رجـل الأعمـال المعـروف؟! اللـي المصنع بتاعه اتحرق زمان؟! آه حلو قوي.

كـان رجـل الأعمـال المعـروف "محمـود الـراوي" صـاحب المصـنع هـو خـال "عمـاد"، وعـن طريـق المصـنع سـيتمكن "عماد من معرفة كل شئ عن عائلة "شكرات".

جرس شقة "شكرات" يرن، تفتح "شروق" الباب، إذ بها تتفاجأ بالدكتور "عمر":

_ أنا الدكتور عمر، زميل الدكتورة حنين في الكلية.

~ اتفضل يا دكتور عمر، اتفضل، يا أهلًا وسهلًا .

~ حزروا فزروا مين اللي جه عندنا هنا دلوقتي؟!

* مين يا شوشو؟ قولي بسرعة، مين؟!

~ الدكتور عمر.

لترد "حنين" و "شكرات" في نفس واحد:

= عمر؟!

~ أيوه يا حبيبتي موجود هنا، وقاعد في أوضة الصالون.

_ أنـا بنعتـذر جـدًا إنـي جيـت كـدا علـى طـول مـن غيـر ميعـاد سابق، ولكن قلقي علـى الـدكتورة حنـين مـاخلّانيش نصـبر لمـا نتطمّن عليها في التليفون.

ترد "شكرات":

- دا بيتك يا دكتور عمر، تشرف وتنور في أي وقت تحبه.

وتبتسم "حنين" ابتسامة فرح:

* اتفضل يا دكتور عمر استريح.

لتقول "شكرات":

طيب عن إذنكم أنا خمسة.

وتخرج من الغرفة، وهنا ينظر الدكتور "عمر" لـ "حنين"، وفي عينيه كلام كثير جدًا، ولكنه حائر، فمن أين يبدأ، وفي هذه اللحظة كان صوت دقات قلبه يعلو شيئًا فشيئًا، وتشعر "حنين" أن الدكتور "عمر" متوتر، لتبدأ الحديث:

* أخبار صحة بابا وماما إيه؟ والأستاذة لبنى؟

_ الحمد لله، همّا بخير، طمّنيني انتِ على صحتك، وصحة ماما واخواتك.

* الحمد لله.

_ ربنا يتمم لنا شفاء أونكل ماضي، ويقوم بألف مليون سلامة.

ومن هنا تفهم "حنين" أن الدكتور "عمر" يريد التحدث عن موضوع الخِطبة، ولكنه متردد، يخشى أن الوقت غير مناسب، أو أنه يفاجئها بأمر والدها؛ لأنها لم تتحدث عنه من قبل.

"شكرات" تدخل، وتعاود الترحيب والحفاوة بالدكتور "عمر"...

- أخبار الأسرة الكريمة إيه؟

_ الحمد لله بخير

- يارب دايمًا بخير وصحة وسعادة وفرح.

_ إن شاء الله، الفرح عن قريب، تسمحي لي أقول لحضرتك يا ماما؟

تنطق ضاحكة:

- دا شرف ليّا يا دكتور عمر.

_ ودا اللي هايخليني نتجرأ ونفتح الكلام قدام حضرتك يا ماما، أنا عارف الظروف كلها، ولولا إن أونكل ماضي في

المستشفى كنت جبت بابا وماما علشان نطلبوا إيد الدكتورة حنين، ولكن عارف الوقت مش مناسب، لكن إن شاء الله أونكل ماضي يقوم بالسلامة، وإن شاء الله بابا هو بنفسه اللي هايفاتحه في الموضوع، وإنه يشرفني ويشرفنا كلنا إنه يطلب منه إيد الدكتورة حنين.

"حنين" متفاجئة:

* انت فاجئتني يا دكتور عمر، أنا كنت فعلًا عايزة نتكلم معاك الأول في الموضوع دا، اللي استجد في حياتنا الأيام اللي فاتت، وحياتي أنا على وجه التحديد، وقلت لربما يكون لك وجهة نظر تانية.

_ مهما كان الموضوع، ومهما كانت الظروف اللي جدّت، مش هاتغيّر أي شيء بيننا يا دكتورة حنين، أنا عايز نقول لك قدام ماما إن بابا حكى لي كل شيء، واحنا كلنا منتظرين اللحظة اللي هتنضمي فيها لأسرتنا البسيطة، خدي بالك إن أي حاجة من هنا وجاي مش هاتفكّري فيها لوحدك؛ لأنها بقت خلاص تخصنا أنا وانتِ، وكمان بلاش كلمة دكتور ودكتورة اللي بنقولوها لبعض دي.

"شكرات" في سعادة:

- ربنا يسعدكم يا ولادي يا رب، ويقرّب فرحتكم، ويلمّ شمل القريب والبعيد، يا قادر يا كريم.

صحة "ماضي" تحسنت شيئًا فشيئًا، وبدأ يتنبه ويشعر بما يدور حوله، وحينما ينتبه يردد:

(حنين، حنين، حنين)، ثم يغيب مرة أخرى عن الوعي.

"ميرفت" زوجته في هذه اللحظة كانت متواجدة في الحجرة، فتسأله:

_ عامل ايه دلوقتي يا ماضي؟ وحاسس بإيه؟ أنا ميرفت، أنا ميرفت مراتك، أنا جنبك يا حبيبي.

يفيق مرة أخرى، ويردد: (حنين، حنين، حنين).

_ مين حنين دي يا ماضي؟ حبيبي انت سامعني؟ مين حنين دي؟

ويغيب عن الوعي مرة أخرى.

تقف "ميرفت" حائرة ويقتلها الشك، لماذا هذا الاسم بالتحديد الذي يتذكره ويردده؟! بالتأكيد هناك سر في حياة "ماضي"، و "حنين" هذه هي جزء من هذا السر.

هذه كانت أول زيارة يسمح فيها بالتواجد مع "ماضي" في نفس الحجرة المتواجد بها، "ميرفت" تخرج من الحجرة، وهي أمام باب الحجرة تتفاجأ بـ "شكرات" و "حنين" تدخلان إلى الحجرة، للاطمئنان على "ماضي"،

ومن هنا تبدأ المواجهة الحقيقية بين "ميرفت" -زوجة "ماضي"-، وبين "شكرات" -أم "حنين"...

_ ممكن أعرف الهانم تبقى مين؟ ومين الآنسة؟!

* احنا قرايب الأستاذ ماضي ، والأستاذ ماضي له جمايل كتير علينا ومغرّقانا.

_ وعرفتوا منين إنه عمل حادثة وموجود في المستشفى؟!

* إحنا لينا واحد قريبنا شغال هنا في المستشفى، وهو اللي بلّغنا أول ما عرف إن الأستاذ ماضي عمل حادثة، وجه هنا المستشفى؛ لأنه عارف الأستاذ ماضي من زمان قوي.

_ واحد قريبكم مين دا؟ نفترض إن ليكم واحد قريبكم هو اللي بلغكم وجيتوا اطمنتوا عليه ! إيه بقى حكاية الزيارات الكتيرة دي اللي كل يوم؟! تقريبًا دي تالت أو رابع مرة أعرف إنكم جيتوا هنا المستشفى.

* ودي فيها إيه يا هانم إننا نيجي هنا المستشفى؟!، دا حتى الناس الغُرب بيطمنوا على بعض، واحنا برضه مهما إن كان قرايب.

_ قرايب؟!

* آه قرايب.

_ منين دا بقى وأنا ما اعرفش؟! وبعدين أنا مش هانم، أنا المدام يا مدام، أتمنى إن الحكاية ما تطلعش أكتر من إنها قرايب يا مدام، بكرة إن شاء الله لما ماضي يقوم بالسلامة هو بقى إن شاء الله اللي يقول إيه حكاية القرايب دي!

"فؤاد" جالس في مكتبه في البيت، يقلّب في أدراج المكتب الذي يجلس عليه، وفجأة يعثر تحت يديه على العقد العرفي الخاص بـ "ماضي" و "شكرات"، الذي كتبه المحامي منذ زمن بعيد، ويتذكر تلك الأيام عندما وفر لهما مكانًا ليقيما فيه، قبل أن ترجع "شكرات" إلى بيت أهلها، لكن هذا العقد لم توقع فيه "شكرات"، ولكّن "ماضي" كان موقعًا على هذا العقد، والأحداث التي حدثت هي التي أنست "شكرات" قصة

العقد العرفي حينما أخذها عم "ماضي"؛ لكى يذهب بها إلى بيت أهلها، بعد أن انتهت الجلسة العرفية.

"صلاح الشوربجي" كان يتابع عن كثب أخبار "حسيب المنياوي" في قضية اتهامه بمقتل "رانيا الغرباوي" -زوجته الخائنة-؛ لكي يشفي غليله ويريح قلبه حينما تحكم المحكمة علي "حسيب المنياوي" بالإعدام، لكن عذاب الضمير لم يجعله يهدأ ويحقق ما يتمناه، بل بالعكس جعله أكثر همًا وتعبًا، وهذا ما جعله في الآونة الأخيرة يمر بوعكات صحية كثيرة، قد أصابته أزمة قلبية شديدة كادت أن تودي بحياته، وهذا ما جعله يعيد تفكيره في اتهام "حسيب المنياوي" بالقتل، رغم أنه يستحق العقاب الشديد لسوء خلقه؛ لأنه كان إنسانًا لا يتقي الله في دينه وعرضه، ولكن كان المهم عند "صلاح الشوربجي" أن يريح ضميره، فيحاول الاتصال بـ "نعيمة" -خالة بناته- أن تأتي إليه في شقته ومعها البنات للأهمية، رغم أنهن من بعد مقتل "رانيا"، كنّ دائمات الزيارات له.

بالفعل اتصل بـ "نعيمة"، وجاءت ومعها البنات، فانزعجن انزعاجًا شديدًا حينما وجدن والدهن في هذه الحالة المرضية

الشديدة، ولكنه طمأنهن بأن الأيام القادمة سيستريح، ولكن الأهم الآن هو أنه يريد أن يعترف لهن بما حدث، منذ التخطيط لقتل "رانيا"، وبالفعل حكى لهن كل شيء، فظلت البنات تبكي؛ لأنهن ليس لهن سند في الحياة غيره، رغم حنان خالتهن التي تولت تربيتهن، فهذا وحده لا يكفي في الحياة، ولا يغني عن وجود الأب.

"نوسة" تزور زوجها "حسيب المنياوي" في محبسه...

_ ليه عملت كدا؟

ليه مارجعتش عن الطريق اللي كنت ماشي فيه؟

انت مش كنت وعدتني؟

وإنك رجعت عن الطريق اللي كنت ماشي فيه دا؟

وإنك هاتشوف بيتك وبناتك وتتقي الله فينا؟

شُفت يا حسيب! شوفت مشيك البطّال ودّاك فين؟

شُفت آخرة الحرام إيه؟

* صدقيني أنا بريء من قتل المجني عليها، أنا فعلًا رُحت لرانيا الشقة، لكن لقيتها مقتولة، أنا لقيت باب شقتها موارب، ومسافة ما دخلت من باب الشقة لقيت الباب بيتقفل عليّا من

برّة، لكن أحلف لك بالله العظيم إني ماقتلتهاش، ودي نتيجة اللي يمشى ورا الحريم، سامحيني انتِ والأولاد، أنا بريء، أنا بريء، أنا بريء.

"عماد" -زوج "مديحة"- بعد أن علم كل شيء عن حياة "ماضي" و "شكرات"، لكن من أجل الظروف التي كانت تمر بها "زينات" -أم المرحوم "علاء"- احتفظ بالمعلومات مع نفسه.

الحاجة "عليّة" -أم المرحوم "حاتم"- تنادي على "شروق":

_ أنا عايزاكِ تتصلي بعمّاتك كلهم دلوقتي، وتخلّيهم ييجوا ضروري، وتقولي ليهم إن تيته تعبانه قوي.

* حالًا يا تيته هانتصل بيهم، بس طمّنيني يا تيته، نخلّي ماما تطلب دكتور العيلة حالًا.

_ لا خلّي ماما في اللي هي فيه، الله يكون في عونها.

أخوات المرحوم "حاتم" مجتمعات عند "زينات"؛ من أجل الذهاب إلى "شكرات" في البيت، ومواجهتها بالمعلومات التي جمعها "عماد" عن "ماضي" في االقاهرة، والذي يمتلك

أفخم محلات لبيع الملابس، والتي تقول عنه "شكرات" أنه أخوها، وأنه عائد من بلاد الغربة، وهذا يعني أن هناك سرًا كبيرًا، ولابد معرفته في أسرع وقت، فجأة.. يصدر هاتف "زينات" رنينًا، لتجيب:

_ أيوة..

مالها الحاجة عليّة؟ طيب اقفلي، احنا جايين في السكة.

توجهن جميعهن بسرعة إلى بيت "شكرات"، الذي تقيم فيه الحاجة "عليّة".

"حنين" تفتح لهن الباب، ويدخلن جميعهن -دونما كلام أو سلام- للحجرة المتواجدة بها الحاجة "عليّة" والدتهن؛ وذلك لأنهن بينهن وبين "شكرات" سوء تفاهم وغضب، لأنها لم تذهب إلى عزاء المرحوم "علاء" -ابن "زينات"-، حيث أنه كان في نفس التوقيت الذي وقع فيه الحادث الأليم لـ "ماضي"، ثم أن لديهن شك في وضع "ماضي"، والمرأة التي ظهرت بعد وفاة المرحوم "حاتم"، وقالت أنها والدتها، رغم أنهن كنّ على علم بعكس ذلك من أخيهم -رحمه الله-.

زينات تتحدث مع والدتها الحاجة "عليّة":

_ انتِ تعبانة قوي يا ماما، لازم نجيبولك الدكتور حالًا.

* اسمعي يا زينات، اسمعوا كلكم يا بنات، أخوكم المرحوم حاتم مش مرتاح في نومته وقلقان، أنا حاسّة بيه زي ما هو حاسس بينا كلنا.

~ مش مرتاح ليه يا ماما؟

أكيد فيه حاجة مش مظبوطة في بيته، ولازم هو مش راضي عنها، علشان كدا انتِ حاسّة بيه.

* لا يا مديحة مش كدا بالظبط!

أنا شُفته جاي لي في المنام، وكأنه عايز يعترف لي بحاجة، بس كان لسانه زي ما يكون مربوط، وبُقّه متخيّط في بعضه.

وهنا ترد "منى":

- ودا معناه إيه ياماما؟!

انتِ فهمتِ معنى الحلم؟! طيب تفسيره إيه؟

انتِ كنتِ بتفسري لنا كل أحلامنا كويس،

أكيد انتِ عارفة هو كان عايز يقول لك إيه!

* أيوه يا بنات، أنا فاهمة هو عايز يقول إيه، الموضوع دا خاص ببيته، خاص بشكرات على وجه التحديد، أنا بقالي يومين عمّالة بنفكّر وكأني بنتفرج على فيلم في التلفزيون، اقعدوا بقى كدا واسمعوني يا بنات قبل فوات الأوان، ماحدش عارف العمر فيه قد إيه.

_ اتكلمي يا أمي، احكي يا حاجة، احنا كلنا سامعينك.

* من يوم مادخل حاتم البيت وكانت معاه شكرات، وقال لي أنا يا أمي اتجوزت، لكن أنا دايمًا كنت بنشوفه لما البيت كله بيكون نايم وأكون أنا رايحة الحمام أو أي مكان في الشقة، أشوفه نايم لوحده في الصالة، رغم إنه بيدخل الأوضة، وأكيد كان بيستنى لما كل واحد فينا بيدخل أوضته علشان ينام كان بيعمل كدا، المهم كنت دايمًا بنشوفه نايم برّة أوضة النوم بتاعته هو وشكرات، وقعد على كدا فترة طويلة، لغاية ما شكرات ولدت بنتها حنين، برضه قعد فترة طويلة بينام لوحده، وكنت بنتحرج نقول له ليه بتنام لوحدك مش بتنام مع مراتك في أوضتكم؟! كان يقول لي كل مرة حجة شكل،

مرة يقول علشان نفضل متشوق لها على طول يا ماما، ومرة يقول لي علشان الحمل، ومرة يقول لي علشان النونه الصغيرة، ومرة، ومرة، فأنا قعدت نشوفه على الحال دا أكتر من سنتين.

_ ودا برضه معناه إيه يا ماما؟!

دا معناه يا بنات إن في التوقيت دا ماكانش حاتم وشكرات متجوزين، الوضع والتصرفات دي معناها بيقول كدا، إن دول مش شكل اتنين متجوزين أبدًا، وأنا عارفة قد إيه أخوكم كان بيخاف ربنا قوي.

البنات في نفس واحد:

= ده معناه كبير قوي يا حاجة.

"منى" تقول لها:

_ ودا هايخلّينا نجمّعوا كل الخيوط مع بعضها.

* خيوط؟! خيوط إيه دي؟! أنا مش فاهمة تقصدي إيه يا منى يا بنتي؟!

"مديحة":

~ انتِ ماعرفتيش يا ماما إنه ظهر ليها أخ الأيام اللي فاتت دي؟!

وكمان بتقول إنه لسّه راجع من برّة، مع العلم إن احنا شُفناه من كام شهر أنا وعماد جوزي في القاهرة، وعلى فكرة لو شُفتيه هاتلاقي حنين صورة طبق الأصل منه.

الحاجة "عليّة"، وهي تتألم بشدة:

* ودا عمره كام سنة؟ كبير ولا صغير؟

~ عمره حوالي ٤٨ سنة تقريبًا.

* وبتقولي إنه شبه حنين؟! ممكن مايكونش أخوها ياولاد، ويكون دا.. دا..

_ دا إيه ياحاجة؟ قولي ممكن يكون إيه؟

* أبووووووووو حنين...

وفي هذه اللحظة تلفظ الحاجة "عليّة" نفسها الأخير، والجميع في حالة ذهول ونحيب.

"شكرات" وأولادها يدخلون الغرفة، وكانت الحاجة "عليّة" قد ماتت، فتقول لهم "شكرات":

انتوا قولتوا لها إيه؟!

انتوا قولتوا لها إيه؟!

مش ممكن، مش معقول!

الحاجة عليّة ما ماتتش!

الحاجة عليّة زي الفل، دلوقتي تفوق وتبقى كويسة، أنا عمري ماهمّلت فيها أبدًا، أنا طول عمر عشرتي ليها، وهي كانت زي أمي.

"وتسقط مغشيًا عليها"

"صلاح الشوربجى" يطلب من بنتيه "هناء وشيرين" اللتين مكثتا معه في ظروف مرضه تحت إشراف خالتهما، التي تتردد عليهم من وقت لآخر؛ للاطمئنان عليهم، ومساعدتهم في أي شيء يحتاجون إليه، فما كان أمام "صلاح" الآن إلا الإصرار وبشدة على أن يترجى بنتيه بالإسراع في إبلاغ النيابة عنه بأنه هو الذي قام بقتل "رانيا" -زوجته-، وبالفعل قد قامت ابنته الكبرى "هناء"، ومعها خالتها بإبلاغ النيابة.

النيابة تصل إلى منزل "صلاح الشوربجي"؛ لاتخاذ اللازم، فوجدته في الرمق الأخير، فطلبوا الإسعاف لتأخذه لأقرب

مشفى، لتقوم بإسعافه حتى يستطيع أن يحكي لهم كيف قام بقتل المجني عليها، ويوقع على أقواله واعترافاته بخصوص مقتل زوجته "رانيا"، والتي حكمت المحكمة على "حسيب المنياوي" المتهم بقتلها بإحالة أوراقه إلى مفتي الديار المصرية،

فبمجرد أن شرح "صلاح" كيف تمت جريمة القتل ووقع على اعترافه، وارتاح ضميره، وطلب من بنتيه أن تسامحاه وتدعوَا له بالرحمة، ثم صعدت روحه إلى بارئها.

الأطباء في المشفى المتواجد بها "ماضي"، -بعد الإشاعات والفحوصات والتحليلات التي أجريت له خلال الأيام الماضية- يقررون إجراء عملية له في المخ في أسرع وقت ممكن؛ نتيجة الحادث التي تعرض له، فالحادث قد أثر تأثيرًا مباشرًا على المخ، ترتب عليه تأثير على الحركة والنظر، وقد قرر مجلس الأطباء بالمشفى أن الذي سيقوم بإجراء هذه العملية هو الدكتور "عمر فؤاد"؛ لأنه من الأطباء المتخصصين في إجراء هذا النوع من العمليات، وسيتم الاتصال به؛ لكي يتناقشوا معه في ظروف العملية، وقد رأى الدكتور "رأفت

عزيز" رئيس قسم الجراحة بالمشفى أن يستشيره في الأمر، فيقوم بالاتصال به:

_ مساء الخير يا دكتور عمر.

* مساء النور، مين؟

_ أنا الدكتور رأفت عزيز.

* أهلًا أهلًا يا دكتور رأفت.

_ أنا هاندخل في الموضوع علشان مانعطلكش عن محاضراتك، أنا وجميع الأطباء في المستشفى هنا، رشحناك بالإجماع إنك هاتقوم بإجراء جراحة دقيقة في المخ لمصاب في حادثة؛ لأنك أنت أفضل واحد دلوقتي يقدر يقوم بإجراء النوع دا من العمليات.

* العفو يا دكتور، اسم المريض دا إيه؟ وعنده كم سنة؟

_ اسمه ماضي، وعمره ٤٩ سنة.

* اسمه ماضي؟!

حضرتك يا دكتور رأفت أستاذنا، وحضرتك عملت العمليات اللي من النوع دا كتير.

_ بس في التوقيت دا، انت أمهر واحد دلوقتي يا دكتور عمر اللي يقدر يقوم بالنوعية دي من العمليات.

الدكتور "عمر" يقول ذلك؛ لأنه يعلم حساسية الموقف، وعلاقة المريض بالدكتورة "حنين"، وينهي معه المكالمة بالموافقة على إجراء العملية، واختيار من يقوم بمساعدته من الأطباء.

_ حنين إزيك.

* الحمدلله يا عمر بخير.

_ حنين المستشفى اختارتني أنا نعمل العملية لوالدك.

* بجد؟! ربنا معاك يا عمر.

_ وانتِ اللي هاتساعديني في العملية دي.

* معقولة إن أول عملية ليا نساعد فيها تكون عملية مهمة قوي وحساسة زي دي؟ ولمين؟ بابا؟!

_ انتِ ناسية إنك دكتورة؟ وكمان الأولى على دفعتك في البكالوريوس، ولولا حادث بابا كنت عملت ليكِ أكبر وأجمل حفلة، انتِ تعتبري إن شهادة البكالوريوس في إيدك معتمدة ومختومة كمان، ومن بكرة الصبح إن شاء الله، أنا قبل ما

نطلع على المستشفى علشان نتناقش مع الدكاترة اللي هناك على تفاصيل إجراء العملية هانعدّي على مجلس الكلية نخلص إجراءات استلام شهادة البكالوريوس بتاعتك، همّا خلاص اعتمدوها من أسبوع.

"حسيب المنياوي" يحلم بأنهم يأخذونه لتنفيذ حكم الإعدام...
_ بلاش تعدموني، مش عايز أموت، أنا خلاص تُبت توبة نصوحة، صدقوني أنا ما قتلتهاش أنا بريء والله العظيم، بريء،

حكمتك يارب، انت اللي عالم إني مظلوم، لكن أنا كنت باعصيك، وماكنتش باتّقيك، وأنا عرفت أخطائي كلها، وتُبت وندمت على كل حاجة غلط عملتها، يارب كلها لحظات وأقابل وجهك الكريم، إذا كنت قبلت توبتي طمّن قلبي يا غفار الذنب ويا قابل التوبة.

"عبد الله" -المحامي- الموّكل بالدفاع عن "حسيب المنياوي" يبلغ زوجته:

_ أيوه يا مدام نوسة، القاتل الحقيقي اعترف قبل ما يموت بإنه هو اللي ارتكب جريمة القتل، رغم إن كل الأدلة بتقول إن

مستحيل حسيب المنياوي كان يفلت من حبل المشنقة؛ لأن البوليس قبض عليه زي ما انتِ عارفة في مكان الجريمة، وإنه كان على علاقة بالقتيلة، ودا تم إثباته من خلال الأرقام اللي كانت موجودة على عدد التليفونات، ودا كمان اللي أكّده جوز القتيلة في التحقيقات.

* الحمد لله، ربنا عالم بينا، وعارف احنا كنا عايشين ازاي الأيام اللي فاتت دي.

_ الحمد لله، المهم إن شاء الله هي مسألة وقت، مجرد ما تخلص إجراءات الإفراج، وهايكون في البيت عندكم.

وتأتي البشارة في صباح اليوم التالي لـ "حسيب" في السجن، وكانت عن طريق "عبد الله" المحامي.

أم "ميرفت" ووالدها مقيمان في بيت ابنتهم "ميرفت"؛ لأن زوجها "ماضي" يجري عملية خطيرة في المخ خلال الثماني وأربعين ساعة القادمة، ومن الضروري أن يكونا معها في هذه الظروف؛ لأنها متوترة، والخوف من المجهول والهواجس تتناوب عليها.

_ أنا خايفة قوي يا ماما، خايفة من كل حاجة، خايفة لا قدر الله ماضي يجرى له أي حاجة، وأتفاجيء بحاجات ماكانتش على البال ولا على الخاطر.

* خلّيها على الله يا ميرفت، ربنا كبير يا بنتي.

_ وقادر على كل شيء يا ماما، أنا حاسة إن ماضي في حياته سر كبير، وأنا قلقانة منه.

* يا بنتي سلامة جوزك دلوقتي بالدنيا، وأي شيء تاني مهما يكون مش مهم، ادعي له ربنا ينجيه.

الحاج "خليل" يقول لها:

- يا بنتي جوزك دا مافيش زيه في الزمن دا، جوزك فعلًا عملة نادرة بجد، الشهادة لله، عمرنا ما شُفنا منه حاجة كدا ولا كدا، طول عمره راجل خدوم ومحترم، أنا يا بنتي بادعي له ليل نهار، وفي كل صلاة بادعي له إن ربنا ينجيه هو واللي زيه، وإن شاء الله ربنا هاينجيه.

أسرة الدكتور "عمر" خرجوا من الفيلا خاصتهم؛ لزيارة "حنين"، بعد معرفتهم بأن ابنهم هو من سيجري العملية،

وطلب الدكتورة "حنين" لمساعدته، ورغم أن والدته قالت لـه أن هذا شيء صعب جدّا على "حنين"، خصوصًـا أن المـريض هو والدها.

"شـكرات" تـدخل حجـرة الحاجـة "عليـة" -رحمهـا الله-، المتواجدة فيها ابنتها "حنين"، لتقول لها:

_ مامـت الـدكتور عمـر بلغتنـي فـي التليفـون يـا حبيبتـي إنـهم جايين في الطريق؛علشان يطمّنوا عليكِ.

لكن في الواقع هذه الزيارة الغرض منـها فـي المقـام الأول هو رفع الروح المعنوية لدى الدكتورة "حنين".

"شكرات" دخلت إلى حجرة الحاجـة "عليّـة"، ورأت "حنـين" تنظر لصورة الحاجة "عليّة"، وهي شاردة؛ لأنـها كانت تتذكر أيـام طفولتهـا، وكيـف كانـت الحاجـة "عليّـة" حنونـة وعطوفـة عليها بدرجة كبيرة...

_ إيـه يـا حنـين؟ اقـري لـهـا الفاتحـة يـا حبيبتـي، ربنـا يرحمـها ويصبرنـا، أسرة الدكتور عمر جايين في الطريق.

* بتقولي إيه يا ماما؟ جايين دلوقتي؟!

_ أيوه يا حبيبتي، فيه حاجة؟! انتي مش مستعدة يا قلب ماما تقابليهم؟

* بصراحة يا ماما ما كنتش حابة أول مرة يزورونا فيها واحنا لابسين الأسود.

_ دا نصيب يا حبيبتي، إن شاء الله بابا ماضي يقوم بالسلامة، والدنيا كلها هاتبقى مبهجة.

* انتِ عرفتِ يا ماما إن بكرة الصبح بابا هايعمل عملية، واللي هايعملها هو الدكتور عمر، وأنا اللي هانساعده في إجراء العملية؟

_ إيه؟! بتقولي إيه يا حنين؟! بابا هايعمل عملية بكرة الصبح؟! وانتِ إيه!؟

* أنا اللي هانساعد الدكتور عمر بكرة الصبح إن شاء الله في إجراء العملية.

_ الصبح يا حنين؟! وماتقولوليش؟!

* يا ماما أنا خُفت عليكِ من القلق.

يرن جرس الشقة، تفتح "شروق" الباب، وتتفاجأ بعماتها الثلاثة أمام الباب:

"زينات – مديحة – منى"،

لتبدأ مديحة الكلام:

~ مامتك فين يا شروق؟

زينات:

- والله عال عال! بتعملوا إيه هنا في أوضة الحاجة عليّة؟ مش قلنا بعد العزا ما يخلص أوضة الحاجة عليّة ماتتفتحش؟

حنين:

* إيه يا طنط زينات؟ دي أوضة تيته -الله يرحمها-.

"مديحة" تهز رأسها:

~ تيته؟! اممم، اممم تيته.

"شكرات":

_ فيه إيه يا ست مديحة؟! مالك بتتريقي على حنين كدا ليه؟!

أيوه تيته، هي مش جدتها برضه؟!

فترد "مديحة" بمنتهى القسوة:

~ لا مش جدتها يا شكرات.

وتحكي لها كل التفاصيل التي عرفتها وأحسّتها أمهم -رحمها الله- عن ابنها، منذ أن جلب "شكرات" معه مدّعيًا أنه متزوج بها، وكل المعلومات التي جمعها "عماد" -زوجها-، لتفجر "زينات" القنبلة:

- احنا هانرفعوا عليكِ قضية في محكمة الأسرة، ننفي فيها نسب ولادك، حنين ومحمد وشروق لأخونا حاتم -الله يرحمه-

"شكرات"، وهي تكاد أن تسقط على الأرض مغشيًا عليها:

_ انتوا عايزين تتهموني بعد العمر دا كله معاكم يا ولاد الأصول بالزنا؟!

وتخرج الشقيقات الثلاثة من الحجرة، ومن الشقة كلها.

"حنين" تسقط على الأرض مغشيًا عليها، وعندما أفاقت لم ترَ أمامها إلا الدكتور "عمر" وأسرته، وهي تبكي:

* مش هانقدر يا دكتور عمر نكون جنبك الصبح في أوضة العمليات، أنا أعصابي تعبانة قوي، ومش تمام.

يهدّئها الدكتور "عمر"، ويصر على أنها ستكون معه وتساعده في إجراء العملية...

_ ما تشغليش بالك بأي شيء، مهما إن كان من أمور الدنيا، وماتفكريش غير بس إنك تهدّي أعصابك.

تنظر "لبنى" لأمها وأبيها، و "شروق" تلوح وتلمح لأمها وتبتسم، ويخرجون جميعًا من المكان؛ ليتركوا "عمر" مع "حنين".

"حنين" و"عمر" يتناقشان في أمور خاصة بينهم، وفي العملية التي ستجرى صباح باكر في المشفى.

"منال" -والدة الدكتور "عمر"- تطلب أن تتحدث مع "شكرات" على انفراد، وتدخلان حجرة النوم الخاصة بـ "شكرات".

_ واحنا طالعين على السلم قابلونا ٣ ستات، حسّينا منهم إن فيه سوء تفاهم بينكم؛ علشان سمعنا واحدة منهم بتقول

علينا: (ودول مين كمان؟! ماهى المشرحة ناقصة قُتَلَى)، الجملة شدّت انتباهي قوي، لكن لما شُفت حنين فى الحالة اللي كانت فيها دي، قلت فيه علاقة بين الستات دول وبين الحالة اللي كانت فيها حنين.

* دول أخوات المرحوم أبو محمد وشروق،

"وتقص لها كل الحوار الذي دار بينهن، وهو الذي أثر على نفسية حنين".

_ احنا كلنا معاكِ في أي شيء هاتحتاجيه، وكل مشكلة ولها حل، بس المهم عندنا كلنا دلوقتي هو ماضي إنه يقوم لنا بألف سلامة؟